المُغايرة الدَّلاليَّة بالإحالة
دراسة في البلاغة القرآنيَّة

دكتور/ بدر ربيعان الجريشي الرشيدي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية -كلية العلوم والآداب بالعلا
جامعة طيبة بالمدينة المنورة- المملكة العربية السعودية

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الناحية البلاغية للخطاب القرآني من خلال المغايرة؛ إذ تشتمل على الوصف والتحليل للنظام الذي يجري عليه السياق القرآني بين تراكيبه في بنيتيه الداخلية والخارجية، حتى ينشأ المعنى البلاغي.

كما تذهب الدراسة إلى بيان التماسك النَّصي من خلال المغايرة بين السياقات بعضها وبعض؛ لأنَّ الغاية هو فهم الاستعمال القرآني لهذه المغايرة بما يسمح لنا فهم الخطاب، وطرق الربط بين أجزائه؛ للكشف عن دلالة النص، وبيان قيمته البلاغية.

والمغايرة ربطٌ بين الجمل أو بين النصوص؛ لتنقلنا إلى نحو النَّص دون نحو الجملة؛ مما يشكل ترابطًا دلاليًّا.

وتناول الدراسة للمغايرة بالإحالة في الخطاب القرآني فلم تكن بمعزل عن السِّياق؛ فهي تهدف لإظهار التماسك السياقي بين طرفي المغايرة؛ لأنَّ التماسك السياقي جزء من النظام اللغوي، وقوة التماسك تنتج عن العلاقات التي تنشأ بواسطة الروابط والتي تتبني في داخل اللغة نفسها.

ومن ثم كان للنظم القرآني أسلوبه في الربط بين النصوص من خلال الإضمار والإظهار، أو بين الإفراد والتثنية والجمع، أو بين الصيغ المتماثلة؛ فنرى المغايرة تخالف ما تحيل إليه في ظاهر السياق بغية التَّنبيه على بؤرة الحدث، وهذا ما تحاوله هذه الدراسة.

Abstract:

This study deals with the rhetorical aspect of the Qur'anic discourse through contrast; It includes the description and analysis of the system on which the Qur'anic context takes place between its internal and external structures, so that the rhetorical meaning arises.

The study also goes to the statement of textual coherence through the contrast between some contexts and each other; Because the goal is to understand the Qur'anic use of this contrast, allowing us to understand the discourse, and the ways of linking its parts; To reveal the significance of the text, and to indicate its rhetorical value.

The contrast is a link between sentences or between texts; To move us to the syntax of the text without the syntax of the sentence; Which constitutes a semantic link.

The study dealt with the different by reference in the Qur'anic discourse, and it was not isolated from the context. It aims to show the contextual coherence between the two extremes; Because contextual coherence is part of the linguistic system, and the strength of cohesion results from the relationships that are established by connections and that are built within the language itself.

Hence, the Qur'anic systems had its method of linking texts through emphasizing and demonstrating, or between singular, dual and plural, or between similar forms; We see the contrast contradicts what you refer to in the apparent context in order to alert the focus of the event, and this is what this study attempts.

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة الناحية الدلالية للخطاب القرآني من خلال المغايرة؛ إذ تشتمل على الوصف والتحليل للنظام الذي يجري عليه السياق القرآني بين تراكيبه في بنيتيه الداخلية والخارجية، حتى ينشأ المعنى الدلالي محل القصد الإلهي.

كما تذهب الدراسة إلى بيان التماسك النَّصي من خلال المغايرة بين السياقات بعضها وبعض؛ لأنَّ الغاية هو فهم الاستعمال القرآني لهذه المغايرة بما يسمح لنا فهم الخطاب، وطرق الربط بين أجزائه؛ للكشف عن دلالة النص، وتحديد مراميه، وبيان قيمته البلاغية.

والمغايرة ربطٌ بين الجمل أو بين النصوص؛ لتنقلنا إلى نحو النَّص دون نحو الجملة؛ مما يشكل ترابطًا دلاليًّا؛ لذا تُعد المغايرة مدخلًا من مداخل التحليل اللغوي للنص.

وتناول الدراسة للمغايرة بالإحالة في الخطاب القرآني لم يكن بمعزل عن السِّياق؛ فهي تهدف لإظهار التماسك السياقي بين طرفي المغايرة؛ لأنَّ التماسك السياقي جزء من النظام اللغوي، وقوة التماسك تنتج عن العلاقات التي تنشأ بواسطة الروابط والتي تنبني في داخل اللغة نفسها.

ومن ثم كان للنظم القرآني أسلوبه في الربط بين النصوص من خلال الإضمار والإظهار، أو بين الإفراد والتثنية والجمع، أو بين الصيغ المتماثلة؛ فنرى المغايرة تخالف ما تحيل إليه في ظاهر السياق بغية التَّنبيه على بؤرة الحدث، وهذا ما تحاوله هذه الدراسة الوصول إليه.

وتحقيقًا لهذه الغايات؛ فقد جاءت هذه الدراسة مقسَّمةً إلى ثلاثة مباحث، تسبقها المقدمة، وتعقبها خاتمة، ثمَّ يتلو ذلك ثبت بأهم المصادر والمراجع، وقد تناولت المقدمة حديثًا مقتضبًا عن أهمِّيَّة المغايرة عند بناء النص دلاليًّا وبلاغيًّا، وأشارت إلى الغايات التي يسعى البحث إلى تحقيقها، وتناولتُ في المبحث الأول- المغايرة بين الإضمار والإظهار، وتناولتُ في المبحث الثَّاني- المغايرة والبنية، وتناولتُ في المبحث الثالث- المغايرة والصيغ المتماثلة، وفي الخاتمة ذكرت أهمَّ نتائج البحث، وختمته بفهرس لأهمِّ المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل

المُغايرة بين الإضمار والإظهار

الإضمار والإظهار في الخطاب القرآني يمثل جانبًا كبيرًا في بيان القيمة البلاغيَّة للخبر المستفاد من تلك المغايرة؛ حيث إنَّ المغايرة الداخليَّة في الصُّورة تساعد في بيان الوظيفة التَّرابطيَّة فيها، وسيظهر هذا في تحليلنا للظَّواهر الآتية:

أولاً- المُغايرة بوضع الظَّاهر موضع المُضمر:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [الأحقاف ٧].

ظهرت المغايرة بين الظَّاهر والمُضمر في الاسمين ظاهرين: (**الَّذِينَ كَفَرُوا**)، و(**لِلْحَقِّ**) فـ"المراد بالحق: الآيات، وبالذين كفروا: المتلوّ عليهم، فوضع الظَّاهرين موضع المُضمرين؛ للتَّسجيل عليهم بالكفر، والمتلو بالحق"(١).

والكفر الذي أشارت إليه الآية هو وصف لمن تُليت عليهم آياته سبحانه، ثمَّ صرَّحت الآية بعد هذا الإظهار بأنَّه (**سِحْرٌ مُبِينٌ**)؛ "تسجيلاً عليهم بكمال الكفر"(٢)؛ ولذلك "الانهماك في الضَّلالة"(٣)، "وأتى بالظَّاهرين بدل المضمرين في (**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ**)، ولم يأت التَّركيب (قالوا لها)؛ تنبيهًا على الوصفين، وصف المتلوّ عليهم بالكفر، ووصف المتلو عليهم بالحق، لو جاءهما دون الوصفين لم يكن في ذلك دليل على الوصفين من حيث اللَّفظ، وإن كان من سمَّى الآيات سحرًا، وهو كافر، والآيات في نفسها حق؛ ففي ذكرهما ظاهرين يستحيل على القائلين بالكفر، وعلى المتلوّ بالحقِّ، وفي قوله: (**لَمَّا جَاءَهُمْ**) تنبيه على أنَّهم لم يتأمَّلوا ما يُتلى عليهم؛ بل بادروا أوَّل سماعه إلى نسبته إلى السِّحر عنادًا وظُلمًا، ووصفوه بمُبين؛ أي: ظاهر أنَّه سحر لا شبهة فيه"(٤).

وتبرز القيمة البلاغيَّة في هذه المغايرة عند أبي السُّعود في الانتقال من ضمير الآيات إلى إظهار لفظ (الحقِّ)؛ "تنصيصًا على حقيقتها، ووجوب الإيمان بها"(٥).

---

(١) الكشَّاف ج٤ ص٢٩٦.

(٢) إرشاد العقل السَّليم ج٦ ص١٣٣.

(٣) أنوار التَّنزيل ج٥ ص١٨٥.

(٤) البحر المحيط ج٨ ص٥٧.

(٥) إرشاد العقل السَّليم ج٦ ص١٣٣.

فالاسمان الظَّاهران: (**الَّذِينَ كَفَرُوا**)، و(**لِلْحَقِّ**) هما: بؤرة المغايرة في النَّص، وعنصر ارتكاز القيمة البلاغيَّة لها؛ ومن ثمَّ كانت المغايرة لإظهار صورتين متقابلتين: كفر موصوف بـ (**سِحْرٌ مُبِينٌ**)، والآيات المتلوَّة على (**الَّذِينَ كَفَرُوا**)؛ لتسجيل عظيم كفرهم، وإشارة للمؤمنين على وجوب الإيمان به.

وفي قوله سبحانه: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾ [الفرقان ٢١: ٢٢].

فلفظ (**الْمُجْرِمِينَ**) عنصر إحاليٌّ في السِّياق القرآنيِّ يحمل مغايرة؛ حيث وضع موضع الضَّمير في قول القائلين: (**لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا**)، وكان تقدير الكلام أن يُقال: (لا بشرى يومئذ لهم).

وعلَّة المغايرة جاءت تسجيلًا "عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم؛ بحيث يتناول مساق المؤمنين، ثُمَّ الالتجاء في إخراجهم عن الحرمان الكُلِّيِّ إلا أنَّ نفي البُشرى حينئذٍ لا يستلزم نفيه في جميع الأوقات؛ فيجوز أن يُبَشَّروا بالعفو والشَّفاعة في وقت آخر بمعزل عن الحق البعيد"[(١)].

فلفظ (**الْمُجْرِمِين**) قد ربط بين طرفي الخطاب؛ ليتَّصل آخر السِّياق بأوَّله في ظلِّ القيود الدَّلاليَّة لنظام الجملة؛ وعليه فإنَّ لفظ الإجرام- في سياقه- يتناسب دلاليًّا مع ما طلبوه من لقاء الله تعالى، ونزول الملائكة، ثُمَّ تأكَّد موقفهم الإجراميُّ بوصف الله لهم بالاستكبار والعُتُو في قوله تعالى: (**لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**)؛ فوُصِفوا "... بأنَّهم مجرمون بعد أن وُصِفوا بالكفر والظُّلم واليأس من لقاء الله..."[(٢)]، كما أنَّ "وضع الموصول موضع الضَّمير؛ للتَّنبيه بما في حيِّز الصِّلة على أنَّ ما يحكى عنهم في الشَّناعة؛ بحيث لا يصدرُ عمَّن يرجو لقاء الله عزَّ وجل"[(٣)].

وتستدعي المغايرة بالإحالة نوعًا آخر من البلاغة؛ رُبَّما لا يتضح تمام الوضوح إذا جرى الأسلوب على ظاهره؛ إذ يحمل لفظ (**عبادي**) في قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [الزمر ١٧: ١٨]، وفيه

(١) إرشاد العقل السَّليم ج٦ ص٢١١.
(٢) التَّحرير والتَّنوير ج١٠ ص٦٥.
(٣) روح المعاني ج١٤ ص٦٩

مغايرة ثنائيَّة؛ أي: مغايرة إلى ضمائر لاحقة عليه في: (**اجْتَنَبُوا**)، و(**يَعْبُدُوهَا**)، و(**أَنَابُوا**)، و(**لَهُمُ**)، وسابقة له في: (**يَسْتَمِعُونَ**)، و(**فَيَتَّبِعُونَ**).

فسياق الآية مدح للمؤمنين؛ إذ كونهم قد بادروا بالأعمال التي جعلتهم مستحقين للبشرى من الله تعالى في الدُّنيا والآخرة؛ وذلك لأنَّهم "هم الموصوفون بالاجتناب والإنابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم؛ تشريفًا لهم بالإضافة، ودلالة على أنَّ مدار اتِّصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نُقادًا في الدِّين يُميِّزون الحقَّ من الباطل، ويُؤثِرون الأفضل فالأفضل ..."[(١)].

كما أنَّ إضافة لفظ (**عبادي**) إلى (ياء) المتكلِّم، في "قوله: (**فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**) هم الذين اجتنبوا الطَّاغوت؛ فعدل عن الإتيان بضميرهم بأن يُقال: فبشرهم إلى الإظهار باسم العباد مُضافًا إلى ضمير الله تعالى، وبالصِّلة لزيادة مدحهم بصفتين أخريين، وهما صفة العبوديَّة لله؛ أي: عبوديَّة التَّقرب، وصفة استماع القول، واتِّباع أحسنه"[(٢)].

فإنَّه لمَّا أراد الله تعالى أن يكون عباده في أعلى درجات العبوديَّة لا غيرهم، استعمل الظَّاهر موضع الضَّمير، فـ "الذين اجتنبوا وأنابوا لاغيرهم، وإنَّما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة هذه على الصِّفة، فوضع الظَّاهر موضع الضَّمير، وأرادوا أن يكونوا نقادًا في الدِّين يميِّزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل"[(٣)].

وجعل الاسم الظَّاهر هذا هو المحور الذي يرتكز عليه النَّظم؛ إذ في المغايرة يكمن السِّرُّ، وإليه يكون القصد حين التَّفكير فيه للنَّفاذ إلى مغزاه فالعبوديَّة والانقياد لله محطُّ اهتمامهم، ومدار الأمر عندهم؛ "ليشرفهم تعالى بالإضافة إليه، ولتكرير بيان الاستحقاق وليدلَّ على أنَّهم منقادون؛ حرصًا على إيثار الطَّاعة ومزيد القرب عند الله تعالى وفيه تحقيق للإنابة وتميم حسن"[(٤)].

(١) السَّابق ج٦ ص٣.
(٢) التَّحرير والتَّنوير ج١٢ ص٣٠٨.
(٣) الكشَّاف ج٦ ص٥٣.
(٤) روح المعاني ج٣ ص٣٧٣.

ثانيًا- المغايرة بإعادة الظَّاهر بغير لفظه:

إنَّ المغايرة بإعادة اللَّفظ الظَّاهر بغير لفظه تبرز الوظيفة الدَّلاليَّة والفنيَّة لهذه المغايرة في انفتاح الدَّلالة، وظهور القيمة البلاغيَّة للغاية الإخباريَّة من تكرار الظَّاهر بغير لفظه.

يلوح ذلك في قوله سبحانه: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر ٧٤]؛ حيث تظهر القيمة البلاغيَّة لإعادة الظَّاهر(**الأَرْض**) بغير لفظه (**الْجَنَّة**) من جهتين:

الأولى- المناسبة الدَّلاليَّة بين لفظي: (**الْجَنَّة**)، و (**الأَرْض**)، وما جاورهما من ألفاظ؛ فناسب لفظ: (**الأَرْض**) الفعل (**أَوْرَثَنَا**)؛ لأنَّ لفظ (**الأَرْض**) جاء مراعاة للتَّركيب التمثيليِّ في سياقه؛ فـ "(**وَأَوْرَثَنَا الأَرْض**) كلام جرى مجرى المثل لمن ورث الملك، قال تعالى: (**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُون**) [الأنبياء ١٠٥]، ولفظ: (**الأَرْض**)، جاء على مراعاة التَّركيب التَّمثيليِّ؛ لأنَّ الأرض قد اضمحلت، أو بُدِّلت ..."[(١)].

الثَّانية- إنَّ وضع الظَّاهر في هذا النَّص مناسب للقيمة الدَّلاليَّة للسِّياق، فكأنَّه قيل بعد قوله: (**وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ**) ما هذه الأرض؟ قيل: الجنَّة التي نتبوأ منها حيث نشاء؛ لأنَّ "الأرض من جملة الجزاء والثَّواب، والجنَّة في أرضها كالبلاد في أرض الدُّنيا؛ لوقوع التَّشابه بينهما قضاء بالشَّاهد على الغائب"[(٢)].

ومن هذا الوادي إقامة الظَّاهر مقام الضَّمير؛ لما فيه من التَّفنُّن في العبارة، والاتِّساع في المعنى البلاغي من قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَاب**﴾ [غافر ٤٩]؛ إذ وقعت المغايرة في هذا النَّص بإعادة الظَّاهر بغير لفظه مقام الضَّمير في قوله سبحانه: (**لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ**)، والتقدير: (وقال الذين في النَّار لخزنتها) فالمغايرة أعادت الظَّاهر بغير لفظه؛ قصدًا للتَّهويل، والتَّفظيع[(٣)].

كذلك تشير المغايرة إلى معنى بلاغي آخرى؛ إذ يحمل لفظ (**جَهَنَّمَ**) بيان محل هؤلاء فيها؛ لأنَّه قد تكون (**جَهَنَّمَ**) أبعد دركاتها من قولهم: بئر جهنَّم بعيدة القعر، فهي أخصُّ من النَّار، أو لأنَّها محل لأشدِّ العذاب الشَّامل للنَّار وغيرها. فـ "وضع جهنَّم موضع الضَّمير؛ للتَّهويل والتَّفظيع، أو لبيان محلِّهم فيها بأن تكون جهنَّم أبعد دركات

(١) التَّحرير والتَّنوير ج١٢ ص٣٩٠.

(٢) النُّكت والعيون ج٤ ص٢٦.

(٣) انظر: الكشَّاف ج٤ ص١٧١، والمحرَّر الوجيز ج٦ ص٨.

النَّار، وفيها أعتى الكفرة، وأطغاهم، أو لكون الملائكة الموكَّلين بعذاب أهلها أقدر على الشَّفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى"(١).

وهناك ملحظ بلاغي من المغايرة في وضع الظَّاهر موضع الضَّمير، وهو أنَّ لفظ **(جَهَنَّمَ)** جاء "للدَّلالة على أنَّ سؤالهم لأهل الطَّبقة التي من شأنها وشأن خزنتها تجهُّم داخليها؛ ليدلَّ على أنَّهم لسوء ما هم فيه لا يعقلون، فهم لا يضعون شيئًا في محلِّه كما كانوا في الدُّنيا"(٢).

(١) إرشاد العقل السَّليم ج٦ ص٣٨.

(٢) نظم الدُّرر ج٦ ص٥٢٢.

المبحث الثَّاني

المغايرة في البنية

تتنوَّع المغايرة في البنية في النص القرآني من خلال أبنية العدد إفرادًا وتثنية وجمعًا تنوعًا لا يتوقعه القارئ؛ لأغراض دلالية لها قيمة فاعلة في تغير البنية الدلالية لسياق النص فلا تخلو من فائدة أو غرض بلاغي؛ حيث تكون هذه المغايرة بالإحالة الأفقية بين الإفراد والجمع، أو بين التَّثنية والجمع، أو بين الإفراد والتَّثنية، كما يتضح مما يأتي:

أولاً- المغايرة بين الإفراد والجمع:

يتردد هذا الإجراء عند تلمُّس غاية شكلية إيقاعية غرضها التفنن في العبارة؛ لإظهار القدرة البلاغية للتلوين بين الإفراد والجمع، حيث يشير إلى ذلك ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾[الحج ١: ٢]. بأنَّها مجرد تفنُّن في الفصاحة علاوة على تساوي صيغة الخطابين في الدَّلالة على متعلَّق الرُّؤية؛ فقد قال: "والخطاب في **(وَتَرَى النَّاسَ)** لغير معين وهو لكل من تتأتَّى منه الرُّؤية من النَّاس فهو مساوٍ في المعنى للخطاب في قوله: **(يَوْمَ تَرَوْنَهَا)**، وإنَّما آثر الإفراد هنا للتفنُّن كراهية إعادة الجمع"(١).

وقد فطن الزمخشري للغاية البلاغية المغايرة بين الإفراد والجمع في الآية محل التحليل من زاوية التَّعلُّق المعنوي؛ وذلك "لأنَّ الرُّؤية أولاً- عُلِّقت بالزلزلة؛ فجعل النَّاس جميعًا رائين لها، وهي معلَّقة أخيرًا بكون النَّاس على حال السُّكر؛ فلابد أن يجعل كلَّ واحدٍ منهم رائيًا لسائرهم"(٢).

فالمغايرة الإحالية- من خلال فعل الرُّؤية- جاءت مساوقَةً لمتعلِّق الفعل- وهو الضمير- إفرادًا وجمعًا؛ فهناك معنًى لطيف لا يتحقَّق مع تساوي الصِّيغتين بنية ودلالة؛ فقد أظهر سياق الآيتين طرفًا من أهوال يوم القيامة، التي يراها النَّاس في المحشر؛ فتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وترى النَّاس سُكارى وما هم بسُكارى، وجاء فعل

(١) التَّحرير والتَّنوير ج١٧ ص١٩١.

(٢) الكشَّاف ج٣ ص١٤٣، وينظر: مفاتيح الغيب ج٢٣ ص٥.

الرُّؤية في بنيته النَّصيَّة متردِّدًا بين الجمع والإفراد (**تَرَوْنَ، تَرَى**)؛ بناء على التعلق التركيبي داخل النص؛ مما يبرز القيمة البلاغية لتلك المغايرة، وليس كما ادعى ابن عاشور. فالضَّمائر بوصفها عناصر مركزيَّة في السِّياقات ترتكز عليها الأحداث؛ فإنَّ إسناد ضمير الجمع إلى فعل الرُّؤية يشمل النَّاس كلَّهم؛ لأنَّ الزلزلة يراها النَّاس جميعهم، أمَّا إسناد ضمير الإفراد إلى فعل الرُّؤية على ظاهر الأسلوب؛ فقد قصد تخصيص الرُّؤية لغير السَّكارى؛ لأنَّ السَّكارى لا يرون أنفسهم، "ولمَّا كان النَّاس كلهم يرون الزلزلة، ولا يرى الإنسان السُّكر – إلاَّ من غيره – قال في الزلزلة: (**تَرَوْنَهَا**)، وقال في (السُّكر): (**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى**)؛ أي: لما هم فيه من الدَّهش والحيرة والبهت؛ لمَّا شاهدوا من حجاب العزّ وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء، ثمَّ دلَّ على أنَّ ذلك ليس على حقيقته بقوله نافيًا لما يظنُّ إثباته بالجملة الأولى- (**وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**)؛ أي: من الخمر"[(١)].

ويأتي ضمير الإشارة إفرادًا وجمعًا؛ ليشكِّل سابقًا أو لاحقًا؛ نحو: (كاف الخطاب) التي تؤدِّي وظيفة دلاليَّة، لتكون كاف الخطاب إفرادًا وجمعًا علامة ثابتة صالحة للدَّلالة على معنى الإشارة بوجه عام، وسواء أ كان هذا المعنى مطابقًا، أم غير مطابق لعلامة الخطاب يتردد هذا في سياق قوله ﷻ: ﴿**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [البقرة ٢٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿**ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [الطلاق ٢]؛ حيث ورد ملحقًا به (كاف الخطاب) موحَّدًا في سياق آية البقرة، وفي سياق آية الطَّلاق وردت كاف الخطاب جمعًا؛ تبعًا لما يحيل إليه، وكانت علة المغايرة[(٢)] بين ضميري الإشارة في الآيتين هو الانتقال بالكاف من مخاطبة الرَّسول ﷺ، إلى خطاب أمَّته في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ**﴾ [الطلاق ١]، وألحق بها سياق آية البقرة (**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**)؛ فالخطاب في (**ذَلِكَ**) للنَّبيِّ ﷺ، ثمَّ عُدل إلى خطاب أمَّته بقوله: (**مِنْكُمْ**).

(١) نظم الدُرر ج٥ ص١٣١.
(٢) ينظر: دُرَّة التَّنزيل ص٣٤١

ثانيًا- المغايرة بين التَّثنية والجمع:

تتلون– أيضًا- المغايرة بالإحالة بين التَّثنية والجمع في طرفي النَّص القرآني لإضفاء حس بلاغي وانفتاح دلالي لجمال النَّص وروعة التَّصوير؛ ومن هنا يمكن أن تلمُّس ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَى أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ [الرحمن ٤٦:٥٦]؛ حيث تشكل الآيات تدرُّجًا منتظمًا؛ إذ يتقدَّم العنصر المركزي، ومحور المغايرة في الخطاب، يتمثل في: (جنتان)، وبعده إحالتان، تتمثَّلان في: صيغة التَّثنية (**فِيهِمَا**)، وصيغة الجمع (**فِيهِنَّ**)؛ فضمير الجمع (**فِيهِنَّ**) عائد على الفرش في قوله سبحانه: (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ**) لسياق الحال؛ ولذلك أشار ابن جرير بقوله: "يقول تعالى ذكره في هذه الفرش التي بطائنها من إستبرق قاصرات الطَّرف، وهُنَّ النِّساء اللاتي قد قصُر طرفهنَّ على أزواجهنَّ فلا ينظرنَ إلى غيرهم من الرِّجال"[(١)] إلا أنَّ الزَّجاج آثر الجمع بين السِّياقين: اللُّغوي والحالي؛ فرأى أنَّ ضمير الجمع (**فِيهِنَّ**) يعني "من هاتين الجنَّتين، وما أعدَّ لصاحب هذه القصَّة غير هاتين الجنَّتين"[(٢)]، بينما يرى الزمخشري أنَّ الضَّمير (**فِيهِنَّ**) راجع إلى مجموع الآلاء المعدودة من الجنَّتين والعينين والفاكهة والفرش والجَنَى[(٣)].

فالعنصر الذي يحمل المغايرة: (**فِيهِنَّ**) يحتاج إلى رفع إبهامه فهو يُحيل إلى ما يُميزه ويُفسره؛ لذا سبقه جو عام – العنصر الإشاري – لمن خاف ربَّه واتقاه، وكذلك ما أعده الله سبحانه من الآلاء والنعم والمنازل الرفيعة، وهي كثيرة فإنَّ لكل فرد جنَّته ومنزله المعد له جزاء وفاقًا على قدر عمله.

وهذا الرَّازي يستلهم المغايرة في ثلاثة أوجه بلاغية فيرى أنَّ ضمير الجمع (**فِيهِنَّ**) يُحيل لقيم ثلاثة: "أحدها- إلى الآلاء والنعم؛ أي: (**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**)، وثانيها- إلى الفرش؛ أي: في الفرش قاصرات، أمَّا الأوَّل- فلأنَّ اختصاص القاصرات بكونهنَّ في الآلاء مع أنَّ الجنَّتين في الآلاء والعينين فيهما والفواكه كذلك لا يبقى له فائدة، وأمَّا

(١) جامع البيان ج٢٧ ص٨٦. وحسنه أبوحيان في البحر ج٨ ص١٩٦.
(٢) معاني القرآن ج٥ ص١٠٣.
(٣) الكشَّاف ج٤ ص٤٥٣.

الثَّاني- فلأنَّ الفرش جعلها ظرفهم؛ حيث قال: (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ**) [الرحمن ٥٤]، وأعاد الضَّمير إليها بقوله: (**بَطَائِنُهَا**)، ولم يقُل بطائنهنَّ؛ فقوله: (**فِيهِنَّ**) يكون تفسيرًا للضَّمير؛ فيحتاج إلى بيان فائدة؛ لأنَّه تعالى قال بعد هذا مرَّة أخرى: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾ [الرحمن ٧٠]، ولم يكن هناك ذكر الفرش؛ فالأصح إذن هو: الوجه الثَّالث- وهو أنَّ الضَّمير عائد إلى الجنَّتين، وجمع الضَّمير هاهنا، وثُنِّيَ في قوله: (**فِيهِمَا عَيْنَانِ**)، وفي قوله؛ (**فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ**)؛ وذلك لأنَّا بيَّنا أنَّ الجنَّة لها اعتبارات ثلاثة: **أحدها**- اتِّصال أشجارها وعدم وقوع الفيافي والمهامة فيها والأراضي الغامرة، ومن هذا الوجه كأنَّها جنَّة واحدة لا يفصلها فاصل.

وثانيها- اشتمالها على النَّوعين الحاصرين للخيرات؛ فإنَّ فيها ما في الدُّنيا، وما ليس في الدُّنيا، وفيها ما يُعرف وما لا يُعرف،، وفيها ما يقدر البشر على تبين وصفه، وفيها ما لا يقدر البشر على تبينه، وفيها لذات جسمانيَّة، وغير جسمانيَّة؛ فلاشتمالها على النَّوعين كأنَّها جنَّتان.

وثالثها- لسعتها وكثرة أشجارها وأماكنها وأنهارها ومساكنها كأنَّها جنَّات؛ فهي من وجه: جنَّة واحدة، ومن وجه: جنَّتان، ومن وجه: جنَّات، وإذا ثبت هذا فيُقال: اجتماع النسوان للمعاشرة مع الأزواج والمباشرة في الفراش في موضع واحد في الدُّنيا لا يمكن؛ وذلك لضيق المكان، أو عدم الإمكان، أو دليل لذة النِّسوان؛ فإنَّ الرَّجل الواحد لا يجمع بين النِّساء في بيت إلا إذا كُنَّ جواري غير ملتفت إليهنَّ؛ فأمَّا إذا كانت كُلٌّ واحدة عزيزة النَّفس، كثيرة المال؛ فلا يجمع بينهنَّ، واعلم أنَّ الشَّهوة في الدُّنيا كما تزداد بالحسن الذي في الأزواج تزداد بسبب العظمة، وأحوال النَّاس- في أكثر الأمر- تدلُّ عليه، إذا ثبت هذا؛ فنقول: الحظايا في الجنَّة يجتمع فيهن حسن الصُّورة والجمال والعزُّ والشَّرف والكمال؛ فتكون الواحدة لها كذا وكذا من الجواري والغلمان؛ فتزداد اللَّذة بسبب كمالها؛ فإذن ينبغي أن يكون لكلِّ واحدة من حيث الاتِّصال أماكن كثيرة؛ من حيث تفرُّق المساكن فيها، وقال: (**فِيهِنَّ**)، وأمَّا الدُّنيا؛ فليس فيها تفرُّق المساكن دليلاً للعظمة واللَّذة؛ فقال: (**فِيهِمَا**) وهذا من اللَّطائف"[(١)].

ونستلهم في تنوُّع المُغايرة بين التَّثنية والجمع وجهًا بلاغيًّا يغاير الآخر ويكمله؛ نحو: قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ**

(١) مفاتيح الغيب ج٢٩ ص١٢٨.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن ٣٣:٣٥]؛ حيث يتقدَّم لفظا ﴿**الْجِنِّ وَالإِنسِ**﴾ وتعود عليه عناصر إحاليَّة تالية له متمثِّلة في ضمير الجمع الوارد في الصِّيغ: (**اسْتَطَعْتُمْ**، أن **تَنفُذُوا**، **فَانفُذُوا**، **لاَ تَنفُذُونَ**)، وكذلك حال (ضمير التَّثنية) في (**عَلَيْكُمَا**، **تَنتَصِرَانِ**)، وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أنَّ إيثار الجمع، وهي المغايرة الأولى- في صدر السِّياق يقتضيه المقام السَّابق؛ فلو تمالأ كل أفراد الإنس، وكلُّ أفراد الجنِّ، وتعاضدوا على التَّمكُّن من النُّفوذ من أقطار السَّموات والأرض لا يستطيعون؛ إذ الأمر (**فَانفُذُوا**) جاء لإفادة للتَّعجيز.

ومن هنا يرى الرَّازيُّ أنَّ مجيء ضمير الجمع في قوله: (**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**)؛ "لبيان عجزهم، وعظمة ملك الله تعالى؛ فقال: (**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا**) باجتماعكم وقوتكم؛ فانفذوا، ولا تستطيعون لعجزكم؛ فقد بان عند اجتماعكم واعتضادكم بعضكم ببعض؛ فهو عند افتراقكم أظهر؛ فهو خطاب عام مع كلِّ أحد عند الانضمام إلى جميع من عاداه من الأعوان والإخوان..."[(١)].

أمَّا المغايرة التَّالية بضمير التَّثنية (**عَلَيْكُمَا**)؛ فقد اقتضى المقام الإيثار به "لبيان الإرسال على النَّوعين لا على كلِّ واحد منهما؛ لأنَّ جميع الإنس والجنِّ لا يُرسل عليهما العذاب والنَّار؛ فهو يرسل على النَّوعين، ويتخلّص منه بعض منهما بفضل الله، ولا يخرج أحد من الوقوع، ولا خلاص لكم عند الوقوع لكن عدم القرار عام، وعدم الخلاص ليس بعام ..."[(٢)].

ثالثًا- المغايرة بين الإفراد والتَّثنية:

إنَّ المغايرة بين الإفراد والتثنية لها- أيضًا- دور بارز في التلوين الدلالي إطلاقًا وتقييدًا عمومًا وخصوصًا إضافة إلى القيم البلاغية التي ربما لا تظهر إذا استمر السياق اللغوي على نمط واحد دون مغايرة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا**﴾ [الجمعة ١١]؛ حيث جاء الضمير في (**إِلَيْهَا**) مُحيلاً إلى لفظين: تجارة أو لهوًا، وكان مقتضى الظَّاهر أن يقال: (إليهما)[(٣)]؛ لأنَّها سُبقت بشيئين، ولكنَّ قراءة العامَّة قد عدلت عن ذلك الظَّاهر إلى ردِّ الضَّمير إلى الأوَّل منهما.

---

(١) مفاتيح الغيب ج٢٩ ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قرئت بلا نسبة كما في البحر المحيط ج٨ ص٢٦٩.

وقد فطن الفرَّاء إلى سرِّ تلك المغايرة، وبيان القيمة الدَّلاليَّة لتخصيص التِّجارة مع كونها متقدِّمة في الذِّكر بعود الضَّمير إليها والإخبار عنها نصًّا وعن اللَّهو اكتفاءً في قوله: "وإنَّما اختير في (**انفَضُّوا إِلَيْهَا**) في قراءتنا ... التِّجارة كانت أهمَّ إليهم وهم بها أسَرُّ منهم بضرب الطَّبل؛ لأنَّ الطَّبل إنَّما دلَّ عليها فالمعنى كلُّه لها"(١)، وربما صدر الزَّمخشريُّ عن تحليل الفراء، وحمل هذا الإجراء على الاكتفاء(٢)، وتقدير الكلام عنده: "إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوًا انفضوا إليه؛ فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه"(٣).

ومن هذا الوادي قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**﴾ [النساء ١٣٥]؛ فقد جاء ضمير المغايرة بصيغة التَّثنية (**أَوْلَى بِهِمَا**)، وكان التقدير أن يقال: (فالله أولى به)؛ لأنَّه يُحيل إلى لفظ مفرد، وهو اسم (يكن) و"في الكلام إضمار وهو اسم كان؛ أي: إن يكن الطَّالب أو المشهود عليه غنيًا؛ فلا يراعى لغناه، ولا يخاف منه، وإن يكن فقيرًا؛ فلا يراعى إشفاقًا عليه؛ (**فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**)؛ أي: فيما اختار لهما من فقر وغنى"(٤).

غير أنَّ الزمخشريَّ يرى الضَّمير في (بهما) يُحيل إلى معنى سياق الآية؛ وذلك حين يقول: "فإن قلت: لِمَ ثُنِّيَ الضَّمير في (**أَوْلَى بِهِمَا**) وكان حقُّه أن يوحَّد؛ لأنَّ قوله: (**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا**) في معنى: إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضَّمير إلى ما دلَّ عليه قوله: (**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا**)، لا إلى المذكور؛ فلذلك ثُنِّيَ ولم يُفرَد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنَّه قيل: فالله أولى بجنس الغنيِّ والفقير؛ أي: بالأغنياء والفقراء"(٥)، وهذا التَّحليل يدفع توهُّم اختصاصها بواحد(٦).

وبالجملة يبدو فيما تقدم أنَّ استعمال الضَّمير بلفظ التَّثنية محمول على معنى السِّياق في آية النِّساء، ومحمول على اللَّفظ في آية الجمعة، وهذه المغايرة في الضَّمير في السِّياقين تشير للغاية الدَّلاليَّة التي يسعى إليها النَّص؛ وذلك لإبراز الصُّور والأغراض التي تحتويها الظَّاهرة.

---

(١) معاني القرآن ج٣ ص١٥٧.

(٢) ينظر: الكتاب ج١ ص٧٤، والعمدة لابن رشيق ج١ ص٢٥١.

(٣) الكشَّاف ج٤ ص٥٣٧، وينظر: البرهان للزَّركشيِّ ج٣ ص١٢٨.

(٤) الجامع ج٣ ص٦١٣.

(٥) الكشَّاف ج١ ص٥٧٥.

(٦) ينظر: روح المعاني ج٥ ص٢٤٧.

المبحث الثَّالث

المغايرة والصِّيغ المتماثلة

إنَّ المغايرة بين الصِّيغ المتماثلة طريقة من طرق العرب في نظم الكلام، وتعد المغايرة في تلك الصِّيغ نوعًا من أنواع "تلوين النَّظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام، وسلك البراعة حسبما يقتضي المقام"(١)، وغايتها التفات المخاطب إلى ما يعتريه الأسلوب من مغايرة؛ فينشط له، وليس لمجرد نشاط ذهن، وإنَّما لأغراض ومعانٍ يرمي إليها الخطاب، ولا تجد نصًّا وقعت فيه المغايرة يخلو من فائدة؛ ومن ثَمَّ سنختار من تلك الصِّيغ بعض الألفاظ التي وقعت فيها المغايرة لغاية أسلوبيَّة ، وليس لأمور نمطية شكلية؛ ومن هذه الثنائيات:

١ - معدودة ومعدودات:

قال تعالى:﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾ [البقرة ٨٠].

قال تعالى:﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾[آل عمران ٢٤]؛ فقد اختلفت المغايرة بين الإفراد والجمع؛ فجاء الإفراد في (**مَعْدُودَةً**)، ثمَّ عدل في الآية الأخرى إلى الجمع (**مَعْدُودَاتٍ**)، ومقام القصَّة واحد، وهو ما حكاه الله تعالى على ألسنة اليهود اغترارًا وجرأة على الله تعالى، والاستهانة بعذابه: (**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**)، ثمَّ عادوا فقالوا: (**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**).

ولعلَّ هذه المغايرة بين الإفراد والجمع تعود إلى اختلاف نظرة النَّحاة للمعهود اللغويِّ المستفاد من دلالة الوصف بجمع التَّكسير؛ فالأصل في الجمع إذا كان واحده مذكَّرًا أن يقتصر في وصف ذلك الجمع على تأنيثه مفردًا بالتَّاء؛ وذلك نحو: كوز مكسور، وكيزان مكسورة، وثوب مقطوع، وثياب مقطوعة، وجبل شامخ وراس، وجبال شامخة وراسية؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ**﴾ [الغاشية ١٣:١٤]، وإذا كان واحده مؤنثًا كان في صفة جمعه الألف والتَّاء، فيقال: جرَّة مكسورة، وجِرار مكسورات، ويجوز مجيء خلاف ذلك فيقال: كيزان مكسورات، وجِرار مكسورة؛ فعلى الأصل في الاستعمال اللُّغويِّ جاء قوله تعالى: (**أَيَّامًا مَعْدُودَةً**) في سياق آية البقرة؛ لأنَّ الأيام جمع يوم، واليوم مذكَّر، وعلى الفرع جاء قوله سبحانه: (**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**)، ومنه قولهم: حمّام وحمّامات، وجمل سبطر،

(١) إرشاد العقل السَّليم ج١ ص١٦.

وجمال سِبَطْرات[١]، هذا ما سطَّره الإسكافي[٢]، وتبعه الكرماني[٣]، والرَّازي[٤]، والزَّركشي[٥]، والأنصاري[٦].

وعلى كلٍّ فمجيء صفة جمع التَّكسير للمذكَّر الذي لا يعقل على صفة الواحدة المؤنَّثة كـ(**مَعْدُودَةً**) فصيح، ومجيء ذلك على صفة المؤنَّثات كـ(**مَعْدُودَاتٍ**) فصيح – أيضًا– وقد صرَّح بذلك أبو حيَّان[٧] وتابعه على ذلك الزَّمخشريُّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾ [البقرة ٢٥]؛ حيث قال: "فهلا جاءت الصِّفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت: هما لغتان فصيحتان، يقال: النِّساء فعلن، وهنَّ فاعلات وفواعل، والنِّساء فعلت، وهي فاعلة ... والمعنى: وجماعة أزواج مطهَّرة"[٨].

لكنَّ اختيار العرب فيما غلب على لسانهم أن يصفوا جمع القلَّة بالقلَّة، والكثرة بالمفرد؛ ذهابًا منهم إلى أنَّ جمع القلَّة نصٌّ في الدَّلالة على قلَّة الموصوف، يقول الزَّجَّاج: "معدودات يُستعمل كثيرًا للشَّيء القليل، وهو أدلُّ على القلَّة؛ لأنَّ كلَّ قليل يجمع بالألف والتَّاء، نحو: دُريهمات وجماعات؛ لأنَّه يلي التَّثنية، يقال: حمَّام وحمَّامان وحمَّامات، فتؤدَّى بتاء الواحد"[٩].

أمَّا المفرد فإنَّه لصحَّة دلالته على الجنس يتَّسع لما لا يتَّسع له الجمع القليل، فناسبوا بين جمع الكثرة وما يتَّسع له من الواحد، كما ناسبوا بين الصِّفة والموصوف في الصِّيغة والمعنى، حين وصفوا جمع القلَّة بالقلَّة، ويبقى بعد ذلك بيان الوجه البلاغي في إيثار كُلٍّ في موضعه؛ ممَّا له أثر في التئام النَّص وترابطه.

ونتلمس عند أبي حيَّان سرَّ المغايرة، وإيثار الجمع في سياق آية آل عمران؛ لتلاؤم دلالته على التَّقليل مع مقام التَّعجب والتَّشنيع، كما أنَّ الإفراد قائم مقام جمع الكثرة؛ اتِّكاء على ما في الوحدة من إرادة الجنس الصَّالح للقليل والكثير؛ إذ يقول: "وجاء هنا (**مَعْدُودَات**) بصيغة الجمع دون ما في البقرة، فإنَّه (**مَعْدُودَة**) بصيغة المفرد؛

(١) السَّبطرات: السَّريعة. ينظر: اللِّسان مادة (س ب ط ر).
(٢) دُرَّة التَّنزيل ج١ ص٢٦٤.
(٣) البرهان في متشابه القرآن ص١١٤.
(٤) التَّفسير الكبير ج٣ ص١٤٢.
(٥) البرهان في علوم القرآن ج١ ص١٢٨.
(٦) فتح الرَّحمن ص٣١.
(٧) البحر المحيط ج٣ ص٨٣.
(٨) الكشَّاف ج١ ص٢٦٢.
(٩) معاني القرآن ج١ ص٢٧٥.

تفنُّنًا في التَّعبير؛ وذلك لأنَّ جمع التَّكسير لغير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنَّثة تارة، ومعاملة جمع الإناث تارة أخرى، فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت: راسيات، وجِمال ماشية، وإن شئت ماشيات، وخُصَّ الجمع هنا لما فيه من الدَّلالة على القلَّة كموصوفه، وذلك أليق بمقام التَّعجب والتَّشنيع"(١).

ويفطن في موطن آخر؛ لإيثار وجه المغايرة بين الإفراد والجمع في الرَّبط بين النَّصين؛ إذ المختار عنده وصف الكثرة بالواحد، ووصف القلَّة بجمع القلَّة. فوصف الأيام في آية البقرة بالمفرد دليل على إرادة الكثرة؛ إذ ليس لليوم صيغة كثرة فاستغنى بصيغة القلَّة عنها؛ تجوُّزًا وتوسُّعًا، وذلك ما نبَّه إليه في قوله تعالى: **(وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ)**، قال: "والأزواج من جموع القلَّة؛ لأنَّ زوجًا جمع على زوجة، نحو: عود وعودة، وهو من جموع الكثرة لكنَّه ليس في الكثير من الكلام مستعملاً؛ فلذلك استُغني عنه بجمع القلَّة توسُّعًا وتجوُّزًا"(٢).

غير أنَّ الحريري لحظ الجمع بين مدلولي الكثرة والقلَّة؛ حيث قرن بين الأيَّام موصوفة بالمفرد، وبينها موصوفة بالجمع؛ فهي في الأولى- صيغة كثرة، وفي الثَّانية- صيغة قلَّة من خلال لواحق فارقة بين الصِّيغتين، قال: "وكذلك اختاروا– أيضًا– أن ألحقوا بصفة الجمع الكثير: الهاء، فقالوا: أعطيته دراهم كثيرة، وأقمت أيَّامًا معدودة، وألحقوا بصفة الجمع القليل: الألف والتَّاء؛ فقالوا: أقمت أيامًا معدودات، وكسوته أثوابًا رقيقات، وأعطيته دراهم يسيرات، وعلى هذا جاء في سورة البقرة: **(وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً)**، وفي سورة آل عمران: **(إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ)** كأنَّهم قالوا أولاً بطول المدة التي تمسُّهم فيها النَّار، ثمَّ تراجعوا عنه فقصروا تلك المدَّة"(٣).

ولم يعتمد ابن الزُّبير الغرناطي على المعهود اللُّغويِّ لدلالة القلَّة والكثرة؛ لبيان وجه الإحالة؛ بل اعتمد على سياق النَّص إيجازًا وإطالة، ففي سياق آية البقرة إيجاز، وفي آية آل عمران إطالة، حيث أخبر تعالى في الآية الثَّانية عن اغترارهم بقوله: ﴿**وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [آل عمران ٢٤]؛ يقول: "وهذا بسط لحالهم

(١) البحر المحيط ج٣ ص١١١.
(٢) السَّابق ج١ ص١١٦.
(٣) دُرَّة الغوَّاص ص١٠١.

الحامل على سواء مرتكبهم، ولم يقع في سورة البقرة تعرض لشيء من ذلك، بل أوجز القول، ولم يذكر سببه. فناسب الإفراد الإيجاز، وناسب الجمع الإسهاب"(١).

٢ - سمع وأسماع:

إذا كانت صيغة الجمع تشير إلى التَّعدُّد والتَّفاوت؛ فإنَّ صيغة الإفراد تُحيل إلى التَّوحُّد وعدم التَّفاوت؛ وعليه جاء قوله تعالى في تعديد أوصاف الكافرين الصَّادين عن سبيله: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ [البقرة ٧]؛ فتُظهر المغايرة هنا إيثار قراءة العامة بإفراد السَّمع على جمعه(٢)؛ إذ يتردَّد السَّمع مفردًا حيثما حلَّ في مواضعه من الذِّكر الحكيم مخالفًا ما يستلزمه التَّناسب اللَّفظيُّ للجمعين – القلوب والأبصار – وقد فطن السِّيوطي إلى علَّة الرَّبط بين اللَّفظ والمغايرة في الخطاب القرآنيِّ، تلك العلَّة التي ترتبط بمتعلِّق كلٍّ منها؛ وذلك لأنَّ "متعلق السَّمع: الأصوات، وهي حقيقة واحدة، ومتعلِّق البصر: الألوان والأكوان، وهي مختلفة؛ فأشارت في كلٍّ منهما إلى متعلِّقه"(٣).

وقيمة هذه المغايرة تشير إلى وحدة الأسماع، وعدم تفاوتها في إدراك متعلِّقها، وهي الأصوات، بخلاف القلوب التي تتمايز في إدراكها لمعاني الأصوات ومدلولاتها ومتعلِّقها كقدرتها على الوعي والاختزان، واستقبال المعاني، والتَّهيؤ لقبولها، أو الإعراض عنها، وكذلك الأبصار تتمايز في إدراك المبصرات طبقًا لقدرتها على الرَّصد والتَّركيز، والتقاط رقائق الأجزاء، وإعانة المخيلة على تصوُّرها، كما أنَّ المبصرات تتفاوت كذلك كثرة ونوعًا؛ ومن ثَمَّ آثر القرآن الكريم إفراد السَّمع في كل موضع اقتضى جمعه(٤).

وعلى الرُّغم من أنَّ قراءة الجمع– أسماعهم– قد جاءت مساوقة لسياقها الذي اكتنفه الحديث عن جماعة المنافقين الصَّادين عن سبيل الله؛ فهي تدلُّ بصيغتها على تساوي النَّاس في إدراك المسموعات؛ فلا تتشعَّب تشعُّب العقول في إدراك المعقولات،

(١) ملاك التَّأويل ص٨١.

(٢) قرأها ابن أبي عبلة (أسماعهم) جمعًا، ينظر: مختصر الشَّواذ ص٢.

(٣) معترك الأقران ج٣ ص٥٩٧، وينظر: الإتقان ج١ ص٢٥٣.

(٤) ينظر: الإعجاز البيانيُّ في صيغ الألفاظ ص٧١.

ولا الأبصار؛ لأنَّ أنواع المبصرات كثيرة؛ فتعطى للعقول مواد كثيرة، والسَّمع لا يدرك إلا الصَّوت[١].

وإفراد السَّمع في سياقه اللُّغويِّ يُحيل إلى معنى الجمع بصيغته المصدريَّة وإضافته إلى ضمير الجمع[٢]، علاوة على كونه – المصدر– أخفَّ وأخصر[٣]؛ وذلك معنى عام يلازم التَّعبير بالمفرد حيثما وقع موقع الجمع.

٣- درجة ودرجات:

جاءت المغايرة بين الصِّيغتين– إفرادًا وجمعًا- لتعكس إعجاز النَّظم القرآنيِّ في التَّلويح بالغرض؛ اعتمادًا على الرَّبط بين دلالات الصِّيغ، وما تبثُّه في سياقها من دلالات تظهر هذه الخصِّيصة الأسلوبيَّة في سياق الخطاب الإلهيِّ عن فضل المجاهدين في سبيله؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء ٩٥:٩٦]؛ إذ استغلَّ ابن جرير هذه المغايرة للكشف عن العلة البلاغية في الصِّيغتين فربط بينها وبين سياق الآيتين الذي يصوِّر مدى التَّفاوت بين دلالتي الإفراد والجمع؛ إذ إنَّ المفضَّل عليه في سياق الجملة الثَّانية غيره في سياق الجملة الأولى؛ فكان التَّفاوت بين الصِّيغتين منبئًا عن دُنُو منزلة المفضَّل عليه في جانب المفرد، وسُمُوِّه مع الجمع تحقيقًا للفرق بين دلالات الصِّيغ؛ إذ يقول-جل وعلا-: "فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضَّرر درجة واحدة، يعني فضيلة واحدة وذلك بفضل جهاده بنفسه... وأمَّا قوله: **(وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)** فإنَّه يعني: وفضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر **(أَجْرًا عَظِيمًا)**"[٤].

فالمغايرة إلى الجمع في سياق الثَّانية دليل على شدَّة تفاوت المنازل عند الله بين المجاهدين والقاعدين من غير أولي الضَّرر؛ لذا ذيَّل سياق الجملة الأولى بـ**(وَكُلاًّ**

(١) ينظر: تفسير المنار ج١ ص١٢١.
(٢) المحرَّر الوجيز ج١ ص١٠٨.
(٣) ينظر: الكتاب ج١ ص٢٠٢.
(٤) جامع البيان ج٧ ص٣٧٥.

وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) لمَّا كان القاعدون هناك معذورين بعجزهم عن القتال، ولم يُذيِّل سياق الثَّانية بمثله.

وقد تتجاوب تلك القيمة التَّعبيريَّة عند الزَّمخشري؛ إذ رأى أنَّ المفضَّلين درجة واحدة هم الذين فُضِّلوا على القاعدين من أولي الضَّرر، وأمَّا المفضلون درجات فهم الذين فُضِّلوا على القاعدين الذين أُذن لهم أن يتخلَّفوا؛ اكتفاءً بغيرهم؛ لأنَّ الجهاد فرض كفاية، حيث قال: "فإن قلت: قد ذكر الله تعالى مفضَّلين درجة ومفضَّلين درجات فمن هم؟ قلت: أمَّا المفضَّلون درجة واحدة، فهم الذين فُضِّلوا على القاعدين الأضرار، وأمَّا المفضَّلون درجات؛ فالذين فُضِّلوا على القاعدين الذين أُذِن لهم في التَّخلُّف اكتفاء بغيرهم؛ لأنَّ الغزو فرض كفاية"(١).

وهناك دلالة إيحائيَّة(٢)أخرى فُهمت من المغايرة؛ إذ كانت صيغة الإفراد هي الدَّرجة الواحدة في الدُّنيا، وهي: الغنيمة، أمَّا صيغة الجمع؛ فهي الدَّرجات في الآخرة في الجنَّة بالفضل والمغفرة والرَّحمة.

ويذهب أبو حيَّان إلى أنَّ سرَّ المغايرة إفرادًا وجمعًا يكمُنُ في اختلاف متعلِّق الصِّيغتين كلتيهما في نوع التَّفضيل وزمانه؛ فأشارت في كلٍّ منهما إلى متعلِّقه؛ وذلك حيث يقول: "والمفضَّل عليهم هنا درجة هم المفضَّل عليهم آخر الدَّرجات وما بعدها، وهم القاعدون غير أولي الضَّرر، وتكرَّر التَّفضيلان باعتبار متعلقهما؛ فالتَّفضيل الأول بالدَّرجة هو: ما يؤتى في الدُّنيا من الغنيمة، والتَّفضيل الثَّاني هو: ما يخوِّلهم في الآخرة، فنبَّه بإفراد الأول وجمع الثَّاني على أنَّ ثواب الدُّنيا في جنب ثواب الآخرة يسير"(٣).

هذه التَّحليلات تُبرز الدَّور الذي تقوم به المغايرة، وتوضح قيمتها البلاغيَّة في الرَّبط بين السِّياقات توجيهًا للخطاب؛ وبيانًا لقيمه البلاغيَّة والأسلوبيَّة؛ واعتمادًا على دلالات الصِّيغ، وتحقيقًا للإيحاءات التي تُبَثُّ في السِّياق القرآني.

غير أن ابن عاشور لحظ ملحظًا آخر استفاده من وجه المغايرة؛ إذ ربط بين الصِّيغتين والمغايرة والقيم والدلالية؛ فالتَّفضيل بالدَّرجة، ثُمَّ بالدَّرجات من باب التَّوكيد؛ فهما سواء في المعنى؛ وذلك في قوله: "وجيء بـ**(دَرَجَة)** بصيغة الإفراد، وليس

(١) الكشَّاف ج١ ص٥٦٦.

(٢) البرهان في متشابه القرآن ص١٤١، ومفاتيح الغيب ج١١ ص٩.

(٣) البحر المحيط ج٤ ص٣٨.

إفرادها للوحدة؛ لأنَّ درجة هنا جنس معنويٌّ لا أفراد له؛ ولذلك أعيد التعبير عنها في الجملة التي جاءت بعدها تأكيدًا لها بصيغة الجمع (**دَرَجَاتٍ مِنْهُ**)؛ لأنَّ الجمع أقوى من المفرد، وتنوين درجة للتَّعظيم، وهو يساوي مفاد الجمع في قوله تعالى: (**دَرَجَاتٍ مِنْهُ**) ... وجمع (**دَرَجَات**) لإفادة تعظيم الدَّرجة؛ لأنَّ الجمع لما فيه من معنى الكثرة، تُستعار صيغته لمعنى القوة"(١).

فالمغايرة بين الإفراد والجمع أحدثت نوعًا من التَّماسك النَّصيِّ عن طريق الرَّبط بين متعلِّق الصِّيغتين ربطًا دلاليًّا؛ حيث إنِّ الدَّرجة الأولى تفضيل للمجاهدين على القاعدين من غير أولي الضَّرر منزلة، وأمَّا الدَّرجات بالجمع؛ فهي تفضيل المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضَّرر منازل كثيرة؛ لأنَّهم غير مؤذون لهم بالتَّخلُّف؛ فكان التَّفضيل، ومن ثَمَّ "كرَّر تفضيل المجاهدين، وبالغ فيه إجمالًا وتفصيلًا تعظيمًا للجهاد، وترغيبًا فيه"(٢).

والإحالة إلى الجمع طريقة أثيرة في الذِّكر الحكيم يعدلُ فيها عن الواحد، ويسلكه في الجماعة مبالغةً في تأكيد الصِّفة لموصوفها، وهم المجاهدون، وما جمعت درجات المجاهدين في سياقها إلا ليرمز بها القرآن الكريم إلى كثرة المجموع تفخيمًا في مقام الثَّناء والمدح.

(١) التَّحرير والتَّنوير ج٥ ص١٧٣.
(٢) أنوار التَّنزيل ج٣ ص١٦٩.

الخاتمـــــة

ذهبت هذه الدراسة إلى بيان أثر المغايرة في بناء النص وتماسكه؛ لأن الغايــة هو فهم الاستعمال القرآني لهذه المغايرة بما يسمح لنا فهم الخطاب، وطرق الربط بــين أجزائه؛ للكشف عن دلالة النص، وتحديد مراميه، وبيان قيمته البلاغية، وقد اتــضحت هذه القيم البلاغية الجمالية للمغايرة في سياقات عديدة للخطاب القرآني الكــريم، يمكــن حصرها- إجمالاً- في النقاط الآتية:

- **المغايرة بين الإضمار والإظهار** في الخطاب القرآني يمثل جانبًا كبيرًا في بيان القيمة البلاغيَّة للخبر المستفاد من تلك المغايرة؛ حيث إن المغايرة الداخلية في الصُّورة تساعد في بيان الوظيفة الترابطية فيها.

- **المغايرة في بنية في النص القرآني** من خلال تنويع أبنية العدد إفرادًا، وتثنية، وجمعًا تنوعًا لا يتوقعه القارئ؛ لأغراض بلاغية لها قيمة جمالية فاعلة في تغير البنية الدلالية لسياق النص؛ فلا تخلو من فائدة أو غرض بلاغي؛ حيث تكون هذه المغايرة بالإحالة الأفقية بين الإفراد والجمع، أو بين التَّثنية والجمع، أو بين الإفراد والتَّثنية.

- **المغايرة بين الصِّيغ المتماثلة**، وهي طريقة من طرق العرب في نظم الكلام، وتعد المغايرة في تلك الصِّيغ نوعًا من أنواع تلوين النَّظم من باب إلى باب جارٍ على نهج البلاغة في افتنان الكلام، وسلك البراعة حسبما يقتضي المقام، وغايتها التفات المخاطَب إلى ما يعتريه الأسلوب من مغايرة؛ فينشط له، وليس لمجرد نشاط ذهن، وإنما لأغراض بلاغية ومعان إضافية يرمي إليها الخطاب القرآني، ولا نجد نصًّا وقعت فيه المغايرة يخلو من فائدة؛ ومن ثَمَّ اختارت الدراسة صيغ الألفاظ التي وقعت فيها المغايرة لغاية أسلوبية بلاغية، وليس لأمور نمطية شكلية.

أهم المصادر والمراجع

١- **إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (تفسير أبي السُّعود) لأبي السُّعود، دار الفكر. د.ت.

٢- **الإعجاز البيانيُّ في صيغ الألفاظ، دراسة تحليليَّة للإفراد والجمع في القرآن الكريم،** للدكتور محمد الأمين الخضريِّ، مطبعة الحسين الإسلاميَّة، القاهرة، ط (١)، ١٤١٣هـ.

٣- **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التَّنزيل،** لزين الدين محمد بن أبي بكر الرَّازيِّ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن المطروديِّ، دار عالم الكتب، الرِّياض، ط(١)، ١٤١٢هـ.

٤- **أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل** (تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاويِّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٥- **البحر المحيط،** لأبي حيَّان الأندلسيِّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦- **البرهان في علوم القرآن،** لبدر الدين الزركشيِّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكتبة العربيَّة، صيدا- بيروت، ١٤٠٨هـ.

٧- **البرهان في متشابه القرآن،** لمحمود بن حمزة الكرمانيِّ، تحقيق أحمد عزِّ الدِّين عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة- مصر، ط(٢)، ١٤١٨هـ.

٨- **التَّحرير والتَّنوير، المختصر من "تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"** لمحمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، د. ت.

٩- **التَّفسير الكبير** (مفاتيح الغيب)،لفخر الدِّين الرَّازيِّ، دار الكتب العلميَّة، طهران -إيران-، ط (٢)، د. ت.

١٠- **جامع البيان عن تأويل أي القرآن** (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير الطَّبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التُّركيِّ، دار هجر، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٢هـ.

١١- **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله القرطبيِّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

١٢- **حاشية الشهاب المسمَّاة عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفسير البيضاويِّ،** للشِّهاب، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٣- **دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدَّلالة،** للدكتور سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشَّرق، القاهرة، د.ت.

١٤- **الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسَّمين الحلبيِّ، تحقيق الدكتور أحمد الخـرَّاط، دار القلم، دمشق، ط (١)، ١٤٠٦هـ.

١٥- **درة التَّنزيل وغرة التَّأويل**، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافيِّ، تحقيق الدكتور محمـد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، ط (١)، ١٤٢٢هـ.

١٦- **دلائل الإعجاز**، لعبد القاهر الجرجانيِّ، تحقيق محمود محمد شـاكر، مطبعـة المـدني، القاهرة، ط (٣)، ١٤١٣هـ.

١٧- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسَّبع المثانيّ**، لمحمود الألوسي، دار الفكـر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٨- **شرح أبيات سيبويه**،لأبي محمد بن أبي سعيد السِّيرافي ، تحقيق محمـد سـلطانيِّ ، دار المأمون ، دمشق ، بيروت ، ١٩٧٩م.

١٩- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محيي الدين عبد الحميـد، دار الجيـل، بيروت، ١٩٨١م.

٢٠- **غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل**، لمحمود بن حمزة الكرمانيِّ، تحقيق الدكتور شـمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة، جدة، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٢١- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظَّام الدِّين الحسن بن محمد القمِّي النَّيسابوريِّ، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابيِّ الحلبيِّ وأولاده، بمصر، ط (ا)، ١٣٨١هـ.

٢٢- **الكتاب**، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السَّلام هـارون، دارا الجيـل، بيروت، ط (١)، ١٤١١هـ.

٢٣- **الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التَّأويل**، الدَّار العالميَّة، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٤- **لسان العرب**، لابن منظور، اعتنى به أمين محمد عبد الوهَّاب، ومحمد الصَّادق المهدي، دار إحياء التَّراث العربيِّ، ومؤسَّسة التَّاريخ العربيِّ، بيروت، ط (١)، ١٤١٦هـ.

٢٥- **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابـن عطيَّـة الأندلس، تحقيق المجلس العلميِّ، فاس، دار الكتاب الإسلاميِّ، القاهرة.

٢٦- **مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل** (تفسير النَّسفيّ) لعبد الله بن أحمـد النَّسفيِّ، المكتبـة الأمويَّة، دمشق، مكتبة الغزالي، حماة.د.ت.

٢٧- **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النَّجار .د.ت.

٢٨- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبراهيم الزَّجاج، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٢٩- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لجلال الدين السَّيوطيِّ، ضبطه وصحَّحه **أحمد** شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٣٠- **ملاك التَّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتَّعطيل في توجيه المتشابه من آي التَّنزيل**، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣١- **نسيج النَّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا**، للأزهر الزِّناد، المركز الثقافيِّ الغربيِّ، ط(١)، ١٩٩٣م.

٣٢- **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور**، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعيِّ، إشراف محمد عبد المعين خان، دار المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدكن، ط (١)، ١٣٨٩هـ.